الفصل الثامن
من هو الأصلح للبقاء؟

إنَّ الخلود فى هذه الحياة الدُنيا ليس هدفاً للمسلم، وليس غاية يُسعى لتحقيقها، فالمسلم يعتبرها دار امتحان ومعاش وعبادة؛ وهى دار ممر إلى حياة الخلود التى لا يموت الإنسان فيها ولا يشقى، فعقيدة المسلم أنَّ الإنسان قد وُجدَ فى هذه الحياة الدنيا فترة من الزمن ليعبد الله ويُقدسه، قال تعالى:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**}(1)

أمّا فكرة "الصراع" فهى فكرة استعمارية كافرة نشأت وأنشأت فى عصر النهضة الاستعمارية، تلك النظرية التى تعتمد على القوة كوسيلة لغلبة القوى على الضعيف، فهى شريعة الغاب التى سادت فى الحروب الاستعمارية وانطبعت فيها العقلية الجاهلية.

والصراع لغلبة القوى على الضعيف هى فكرة مادية لا أخلاقية، تهدف إلى الاستيلاء على موارد الغير بالقوة والعنف، وبسبب حمل المجتمعات الجاهلية لتلك الفكرة كانت الحروب العالمية والثورة الفرنسية، كما كانت السبب فى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية والقومية؛ ولنفس السبب قامت الحروب الصليبية وغزواتها على بلاد المسلمين. **وبهذا** المنطق احتلت روسيا الشيوعية أفغانستان المسلمة.

وما الحرب التى دارت رحاها حديثاً، ولا تزال آثارها ومصائبها إلى اليوم وفى هذه اللحظات على أرض الإسلام من أراضى الخليج العربى والتى أسموها "حرب الخليج" أو "عاصفة الصحراء" أو "حرب تحرير الكويت"، والتى قادتها قوى الكفر والشر بقيادة رأس معسكر إبليس الولايات المتحدة وغيرها من الدول الصليبية الكافرة مثل رؤوس الكفر

---

(1) دورية " عالم الفكر "، المجلد الثالث، العدد الرابع (1973)، صفحة (152).

والحقـد بريطانيـا وفرنسـا، إلا صـراع لتحقيـق غلبـة القـوى المتغطـرس المتمثل فـى الدولـة العظمـى الأولـى وحليفاتهـا، علـى الضـعيف المحدود القوة المتمثل فـى العراق، للاستيلاء علـى خيـرات وموارد بـلا د المسلمين، ولإجبار المسلمين على الخنوع لصلف وغطرسة الكفرة. ومما يعزز هذا ما نراه من تصرفات حاقدة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، المتمثلة فى استغلال اسم "هيئة الأمم" و "مجلس الأمن" وما يسمى بِـ "الشرعية الدولية" لتركيع وتجويع شعب العراق المسلم وإذلاله، وقتل الشيوخ الرّكع والأطفال الرّضع والبهائم الرّتع، وإهلاك الزرع والحرث والنسل. يُساندهم فى ذلك كل قوى الشر والكفر والعدوان فى شرقى العلم وغربيه على اختلاف مللهم ونحلهم وعقائدهم!!!!

وعلـى إثـر تفجيـرات يـوم الثلاثـاء المشـهود *2001/09/11*، فـى مـدن نيويـورك وواشـنطن الأمـريكيتين، هـذا الحـادث الـذى أظهـر عجـز الدولـة العظمى عن حماية بلادها ورعاياها، وكشف البرقع الشفاف من الجبروت والخيلاء الذى يخفى هوان وعوار تلك الدولـة العظمـى وقلـة حيلتهـا، فقام رئيس الولايات المتحدة الأمريكيـة "بوش الابن" بالسير علـى نهـج وسلف وجبروت أباه، وبأسلوب رعاة البقر الشائع فى أمريكا *Cowboy*، فأعلنها حـرب صـليبية حاقـدة كـافرة ضـد الإسـلام والمسـلمين، بادعـاء محاربـة الإرهاب، فجَيَّشَ الجيوش وحَشَدَ الحُشود، وجمع دول "أصحاب الفيل" فى تحالف آثم حقود ضمّ دول الصليب الحاقد جميعاً من بريطانيا إلى فرنسا إلى إيطاليا ألذى استعرض حاكمها عضلاته واستغلها فرصة لمهاجمة حضارة الإسلام، وبقية دول الصليب بلا استثناء، كما ضم هذا التحالف الكافر دول الكفر الأخرى كروسيا الأرثوذكسية واليابان الوثنية، وقد قام هذا التحالف أيضـاً باسم "الشرعية الدولية" وضم فيه معظم الدول القائمة فى العالم الإسلامى عرباً وعجماً بمن فيهم حاكم السودان صاحب العمامة البيضاء

والذى أوهم سذج ورعاع الأمة يوماً أنه إمام المسلمين وخليفتهم!!! ومن شابه منهم أبو جهل وأبو لهب وأبو رغال وأرناط وشاور، والهدف المُعلن كان مكافحة الإرهاب ولقتل الشيخ أسامة بن لادن رئيس تنظيم القاعدة، للشك بلا دليل ثابت فى اشتراكه فى تدبير الحادث اللهم إلا الظن والهدف الحاقد، ولمعاقبة دولة أفغانستان لحمايتها له. ومما يثبت كذب ادعائهم هذا إعلان كبرائهم استمرار الحرب لمدة طويلة، وإعلانهم أنها ستطال شعوب ودول ومنظمات وجمعيات عدة كلهم عرب ومسلمين، وتهديدهم كل دول العالم بأسلوب هوليودى بأن من لم ينضم معنا فهو مع الإرهاب!!!

وصب أصحاب الفيل جام غضبهم على أصحاب العقيدة والمبدأ، وأمطروهم خلال مدة تقارب الشهرين بل تزيد، بوابل من حمم النار والقنابل المدمرة على اختلاف أنواعها، المحرمة فى قوانينهم وغير المحرمة على السواء، تصبها عليهم أحدث الطائرات الحربية، والمنطلقة من مطارات وقواعد حربية فى بلاد المسلمين، فدمروا البلاد، وهدموا المساجد والمصحات، وقتلوا الأطفال والشيوخ والجياع العراة، وشردوا الناس الذين هاموا على وجوههم فى الفيافى والقفار هاربين من البلاء إلى الضياع، وارتكبوا كل أنواع المنكرات، وقاموا بأبشع أنواع الإرهاب الذين يدعون محاربته، وكشفوا عن مكنون الغل والحقد الذى تخفيه نفوسهم. حتى امتد غلهم وحقدهم إلى مواطنيهم من حملة الجنسية الأمريكية من المسلمين فاعتدوا عليهم بالقتل والسجن والتعذيب ومصادرة الأموال وتحريق البيوت وكشف عورات النساء، وكل ما يعد مخالفاً لقوانينهم ومبادئهم، وداسوا الحرية الشخصية للأفراد أمام صنمهم المعبود "تمثال الحرية".

والهدف الحقيقى لهذه الحملة الصليبية الحاقدة الكافرة والتى قادها رعاة البقر، هو بسط سيطرتهم وجبروتهم على مدن العالم الإسلامي، لاستغلال

مواردهم ونهب خيراتهم، وسرقة أموالهم، (وقد فعلوها علانية بتدخلهم فى ودائع الأشخاص والهيئات فى بنوك العالم، ومصادرة ما يشاءون منها خلافاً لقوانينهم وتشريعاتهم، قوانين الصليب والغاب وقوانين رعاة البقر، واعتداءاً صارخاً على الملكية الفردية). وللحيلولة بين هذه الأمة الكريمة وبين نهضتها وبعثها من مرقدها. إنّه الصراع بين الحق والباطل.

وأخيراً قيام امبراطورية الشر "الولايات المتحدة الأمريكية" وحليفاتها بتاريخ *2003/3/20*م بشن حرب صليبية غاشمة على العراق ومن ثم احتلاله بالكامل يوم *2003/4/9*م واستعماره بعد معركة صبوا بها جميع أنواع وحمم الأسلحة المتطورة الفتاكة من قنابل إنشطارية جهنمية وصواريخ محتوية اليورانيوم المنضب والغير منضب على السواء، فدمروا البلاد وقتلوا العباد ومثلوا بجثثهم، ونهبوا الخيرات وأهلكوا الحرث والنسل، وروعوا الناس، وهتكوا الأعراض، وعاثوا فى البلاد الفساد، يساندهم سراً وعلانية جميع دول الصليب الأوروبية بما فى ذلك فرنسا وألمانيا وروسيا علاوة على بريطانيا وأسبانيا واستراليا... كما شاركهم وساعدهم فى ذلك صراحة كل المحافل السياسية العالمية ومنها الأمم المتحدة ومجلس الأمن وسكرتير عام الأمم المتحدة ومنظمة الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ووفود الدول العربية فى الأمم المتحدة، وحجتهم فى ذلك عن "أسلحة الدمار الشامل" التى ليس لها وجود!!!!

لم تعتمد صراعاتهم مبدأ عدل يسعون لنشره، أو إصلاحاً يعملون لتحقيقه، أو دعوة حق يحملون لوائها، بل من أجل المادة والاستعمار والتسلط، والتحكم فى مصائر البشر ومصادر رزقهم وعيشهم، واستغلالهم ونهب أموالهم وموارد بلادهم وخيراتها.

[وأصل فكرة الصراع هى نظرة التفكير الرأسمالى بالعيش، وما صاغ به الحياة الإنسانية كلها من صياغة معينة، تُرى ما جلبت هذه الصياغة للحياة الإنسانية كلها من شقاء وتعاسة، وجعل الإنسان يقضى حياته كلها يركض وراء الرّغيف. وكيف جعلت العلاقات بين الناس علاقات خصام دائم، هى علاقة الرّغيف بينى وبينك آكله أنا أو تأكله أنت، فيستمر بيننا الصراع حتى ينال أحدنا الرّغيف ويحرم منه الآخر، أو يعطى أحدنا ما يبقيه ليوفر باقى الرّغيف للآخر ويزيد من خبزه. فنظرة واحدة لهذه الصياغة التى صاغها التفكير الرأسمالى للحياة تُرى كيف جعلت الحياة الدنيا دار شقاء وتعاسة، ودار خصام دائم بين الناس.

وذلك بأنّ التفكير الرأسمالى بالعيش، وإن كان قد بناه على فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة، أى وإن كان بناه على فكرة كلية أى نظرة معينة فى الحياة، فإنّه وإن حقق نهضة الشعوب والأمم التى سارت على هذا الطراز من التفكير بالعيش، فإنّه أشقى تلك الشعوب والأمم، وأشقى الإنسانية بأجمعها. فهو الذى خلق وأوجد فكرة الاستعمار والاستعباد والاستغلال. وهو الذى أتاح لأفراد أن يعيشوا فى مستوى هيأ لهم أن يأخذوا الرسائل التى تأتيهم على طبق من ذهب يقدمه إليهم الخدم، أى العبيد، وحرم أفراداً حتى من أن يكونوا خدماً وعبيداً لأبناء عائلاتهم أو عشيرتهم أو أمتهم يستطيعون أن ينعموا بفضلات العيش وفتات الموائد. وفى أمريكا الغنية المتغطرسة، وإنجلترا التى لا تزال تحلم بأمجاد الإمبراطورية المتناهية الأطراف، وفى فرنسا التى يسبح خيالها بسراب العظمة والمجد، نماذج عديدة من تلك الحياة، فضلاً عما فعلته فكرة الاستعمار والاستغلال فى غير أوروبا وأمريكا من استعباد ومص دماء. وكل هذا إنّما كان لأنّ التفكير بالعيش ليس تفكيراً مسؤولاً، أى

ليس تفكيراً فيه المسؤولية الحقيقية، حتى وإن كانت تظهر فيه أحياناً المسؤولية عن العائلة والعشيرة أو القوم أو الأمة، ولكنه فى حقيقته خالٍ من المسؤولية، لأنه ليس فيه إلا ما يضمن الإشباع][1]

لقد استغل دعاة العنصرية نظرية "داروين" فى القول ببقاء الأصلح، مبرراً لاضطهاد الشعوب الملونة، وغالوا فى ذلك حتى أنكروا حق النفس السّوداء - نسبة إلى لون البشرة - فى الوجود على نحو ما عبر عنه "مونتسيكو" فى كتابه، وفى ذلك يقول "الدكتور محمد بدوي" فى كتابه "كتاب التطور": (استطاع العنصريون أن يتخذوا من نظرية داروين البيولوجية أساساً لنظرية اجتماعية داروينية، بمعنى أنهم نادوا بما يسمى بالاختيار الاجتماعى ليقابل مبدأ الاختيار، ومن ثم فإن المجتمع يختار أصلح من يقود هذه المجتمعات فى امتياز بعض الشعوب على بعضها الآخر.)

وفى طريقة تعامل بيض البشرة من الشعوب الصليبية الوافدة حديثاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة الأولى فى العالم، وقائدة ما يسمى بالعالم الحر، ورائدة الديموقراطية العفنة، تلك الدولة التى تتبجح وتتباهى بأنها بلد الحريات، مع أهل البلاد الأصليين سود البشرة "الزنوج"، أبشع صور لتلك النظرة ووصمة عار لا تمحى فى جبين عالم القرن العشرين وفى جبين ذلك النظام الديموقراطى الفاسد العفن. كما يماثلها ويقاربها فى البشاعة والانحطاط عنصرية المستعمر الصليبى الكافر تجاه الأفارقة سود البشرة فى بلادهم المحتلة فى جنوبى أفريقيا ووسطها وشرقها وغربها وشمالها، وفى مناطق متعددة من العالم، والمصائب التى حلت بهم من المستعمر الكافر إنجليزى وفرنسى وإيطالى وأسبانى وبرتغالى وهولندى ومن كل

---

(1) الذاريات: (56).

هؤلاء الكفرة على اختلاف جنسياتهم سواء بسواء. تلك العنصرية الرعناء التى تنظر إلى هؤلاء الناس وتعاملهم على أنهم ليسوا نوعاً من البشر الذى ينتمون إليه. وفى هذا يقول "جوان توماس" فى كتاب "خرافات عن الأجناس":

(إنَّ الاستعمار يحاول تبرير القول بأنَّ الزنجى ليس أحط من الرجل الأبيض فحسب، بل أنه لا يختلف إلا بقدر يسير عن الحيوان وإنّ نظرية داروين الخاصة ببقاء الأصلح رَحَبَ بها البيض واعتبروها وسيلة لتدعيم سياسة التوسع والعدوان على حساب الشعوب المنحطة. وبناء على ذلك اعتقد الأبيض أنَّ استعباد أو إفناء المجموعات البشرية المنحطة بواسطة الرصاص الأوروبى ليس إلا تنفيذاً لنظرية استبدال مجتمعات منحطة بأخرى راقية.

لقد رَحَّبَ الماديون بفكرة داروين لأن عقيدتهم تقوم على العنف وصراع الطبقات، ولم يكن الدّافع لتبنى نظرية داروين الأدلة العلمية - فهى أبعد عنها - وإنّما كان مذهبهم السياسي، علاوة على أنَّ نظرية نشوء الإنسان من الحيوان تلائم النظرة المادية الشيوعية.

لقد ذكر القرآن الكريم أنّ الصلاح هو سبب بقاء الأمم والحضارات فى الدنيا، وسبب تغلب الضعفاء العقائديين المتقون على الأقوياء الكفرة. وأنّ الفسق والفجور والضلال والعصيان والكفر والإلحاد والشرك والوثنية والجاهلية هم سبب الهلاك والزوال وانتقام الله، وفى ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران:{**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ**

بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ}[1]

هذه النظرة التى طرحها الإسلام بمفاهيمها وقيمها الإنسانية الكريمة عن النزاع القائم فى الحياة الدنيا. فرفع الإنسان فكرياً وسلوكياً عن مستوى الغاب وشريعته التى تنادى بالبقاء للأقوى، إلى المستوى الإنسانى الفاضل الذى ينادى بالبقاء للصالح فعلاً. فهلاك الأمم والشعوب واندثارها هو بسبب الذنوب والمعاصى والآثام، منذ خلق الله الأرض ومن عليها، وإلى أن يرثها ومن عليها، وفى ذلك قولـه تعالى من سورة الأعراف:{**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**}[2] وقولـه تعالى من سورة الكهف:{**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا**}[3] وقولـه تعالى من سورة يونس:{**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ**}[4]

وليس ببعيد عن أذهاننا قصة فرعون حين علا وتغطرس وتجبر ببنى إسرائيل، ولم يكن المنتصر فيها القوى الجبار المتغطرس، بل كان المنتصر الفئة المؤمنة المستضعفة. وفى ذلك قولـه تعالى من سورة يونس:{**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ**

---

(1) النبهانى - الشيخ تقى الدين، كتاب " التفكير " صفحة (78 - 79).
(2) آل عمران: (10 - 13).
(3) الأعراف: (100 - 101).
(4) الكهف: (59).

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[1]

لقد قصَّ علينا القرآن الكريم كيف أهلك الله تعالى قوم نوح بالإغراق، وكيف انتقم وأهلك قوم لوط، وكيف انتقم من الفراعنة وكل الجبابرة العتاة، وقصّ علينا من أمثال العذاب والهلاك فى الدنيا التى سلطها الله تعالى على الكفرة العتاة الظلمة، علّ ذلك يكون عبرة لكل معتبر. ولنتمعن فى هذه الآيات البينات من سورة الأنبياء:{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}[2] وقال تعالى من سورة الحاقة:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}[3] وقصص أخرى من قصص الهلاك ومع سورة الفجر:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[4] وصورة أخرى هى الهلاك بالمطر ومع سورة النمل:{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا

---

(1) يونس: (13).
(2) يونس: (90 - 92).
(3) الأنبياء: (76 - 77).
(4) الحاقة: (4 - 8).

أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ}(1)

أما المسخ فقد سلطه الله تعالى على قوم من اليهود لعصيانهم أمر الله بصيدهم الحيتان فى السّبت وقد حُرّم عليهم ذلك، على قول إبن عباس فى رواية عكرمة الواردة فى كتاب "المستدرك"، إذ مسخهم الله قردة جزاءَ عصيانهم لأوامر الله تعالى، وفى ذلك قوله تعالى من سورة الأعراف: **(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التى كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ إذ يَعْدونَ فى السَّبْتِ إذ تَأتيهِمْ حيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبتونَ لا تَأتيهِمْ كَذلِكَ نبْلوهُمْ بما كانوا يَفسُقونَ ! وَإذ قالتْ أُمَّة مِنْهُمْ لِمَ تعِظونَ قوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مُعَذِبُهُمْ عَذاباً شَديداً قالوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يتقونَ ! فلمّا نَسُوا ما ذكِروا بِهِ أنجَينا الذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ وَأخذنا الذينَ ظَلموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفسُقونَ ! فلما عَتوا عِنْ ما نُهوا عَنْهُ قلنا لهُمْ كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ !)**(2)

[وقصة المسخ تلك فى جماعة من يهود كانوا يسكنون فى إيلات فى خليج العقبة، فحرّم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، فكانت الحيتان تأتيهم ظاهرة مشرعة بكثرة يوم سبتهم، فإذا كان بقية الأسبوع اختفت، وذلك امتحان لهم من ربهم. فابتدأ نفر منهم بوضع الشباك لها يوم الجمعة ويمسكوا بها يوم السبت ليأخذونها يوم الأحد تحايلاً على أمر الله. فلما ظهر فيهم هذا الأمر انقسموا إلى ثلاث طوائف: **طائفة** تحايلت على أمر الله... **وطائفة** نهت عن المنكر... **وطائفة** سكتت...، **وكان** ابن عباس رضى الله

---

(1) الفجر: (6 - 13).
(2) النمل: (54 - 58).

عنهما يرى أنّ الذين نجوا هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر منهم فقط، ويرى أنَّ الذين سكتوا وقالوا لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً مع الهالكين... ثم يبكى خشية أن يكون من الذين رأوا المنكر فلم ينهوا عنه وذلك فى أيام بنى أمية... فجاء مولاه عكرمة وأقنعه بأنّ الذين كرهوا وسكتوا هم الناجون، فسر بذلك رضى الله عنه... وأما الطائفة الثالثة فقد مسخها الله قردة](1)

فيما روى من سؤال عائشة رضى الله عنها عن القردة هل هى ممن مسخ الله من يهود؟ فقالت، قال رسول الله ρ: (ما جعل الله لمسخ من نسل.)(2)

وفيما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنَّ رسول الله ρ قال لمن سأله عن القردة والخنازير هل هى مسخ؟ قال: «**إنَّ الله لا يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإنّ القردة والخنازير كانوا من قبل**» (3).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «**لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب**» (4).

وقد ورد ذكر المسخ من أشراط الساعة عن ابن عمر مرفوعاً: «**يكون فى أمتى خسف وقذف**» (5)

وفيما رواه أبو أمامه: «**ليبيتن أقوام من أمتى عن أكل ولهو ولعب، ثم**

---

(1) الأعراف: (163 - 166).
(2) تفسير ابن كثير، (2: 158) - تفسير الطبري، (13: 185) - تفسيير القرطبي، (7: 306) - فى ظلال القرآن، (9: 1383).
(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(4) صحيح مسلم.
(5) صفوة التفاسير، (1: 479).

ليصبحن قردة وخنازير» [1] وفى حديث آخر برواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «**بين يدى الساعة مسخ وخسف وقذف**» [2].

وفيما روته عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**يكون فى آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف. قيل يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث**» [3].

فنسألك اللهم ونجأر إليك بالدعاء متوجهين إليك مبتهلين وقد خلقتنا فى أحسن تقويم، وأكرمتنا بجمال الخَلق وحُسْن الخُلق وأنعمت علينا بنعمتى العقل والإسلام، أن تلطف بنا فيما جرت به المقادير، وأن تثبت قلوبنا على التقوى والأيمان، وأن تُبعد عنا شرّ انتقامك الحق، ونبرأ إليك ربنا من سفهاء قومنا، سواء منهم من الحد أو شكك فى جلالك، أو من أشرك بك أو كفر، ومن اتبع خطوات الشيطان من أنس وجان.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ولا تحملنا ما لا طاقة واعف عنا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فاهدنا الصراط المستقيم وأنر دربنا وأعنا على حمدك وشكرك وحسن عبادتك، وأهلك الكفرة أعداءنا وأعدائك وانتقم منهم انتقام العزيز الجبار.

---

(1) رواه الحاكم ومسلم وأحمد بن حنبل.
(2) رواه الطبراني.
(3) رواه ابن ماجه.